عــرض تعريفي لكتابين في القانون الدولي

تقديم : الدكتور بن ناصر أحمد

الكتابان الجديدان اللذان صدرا عن ديــوان المطبوعات الجامعــية للدكتور عمر سعد الله أستاذ القانون الدولي بجامعة الجزائر يشكلان نقطة تحول فريدة في ميدان التأليف القانوني. وحــري بنــا الإقــرار بكل قناعــة وموضوعية بأن هاذين الكتابين سيسدان ثغــرة كبيرة في مجال المؤلفات ذات الصلة بالقانون الدولي وسيثريان المكتبــة القانونيــة أيمــا إثــراء.

الكتاب الأول

صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية عام 2005 كتاب تحت عنوان "معجم في القانون الدولي المعاصر" (482 صفحة مــن الحجــم الكبير) يعتبر بلا منازع الأول من نوعه على مســتــوى الوطــن العربي. انكب المؤلف بصرامته العلمية المعهــودة على الإجابــة من خلالــه على السؤال المطروح حالــيا بإلحــاح حــول المقصود من المفاهيم والمصطلحات والعــبارات المتداولة في نطــاق القانون الدولي المعاصر و إعطاء أكبر قــدر ممكن من المعلومات القانونية والبيداغوجية حولها.

وتكمن قيمــة هــذا الكتاب في كونــه يعد أول محاولة مــن متخصــص لتسهيل عملية التعامــل مع قواعد ومبادئ القــانون الدولي، وفهــم مصطلحاته وإجراءاته وألياته، وذلك

مـــن خـــلال إبـــراز معانـــي المصـــطلحات التقلـــيدية منها والمستحدثة.

لذلـــك تـــناول بالعـــرض والتحليل أهـــم تلك المفاهيم الجديـــدة التي باتت تهيمن على مجمل العلاقات الدوليـــة في الوقـــت الحاضر، كمفهـــوم "الحرب على الإرهاب" ومفهوم "الحرب الوقائية" و"الحرب الاستباقية" ومفهـــوم "محور الشر" الـــذي يـــتعلق بتصنيف دول معينة ترعى الإرهاب، ومفهوم "محـــور الخير" المعبر عـــن دول تدافع عن القيم الحضارية الغربية، ومفهوم "الحرب العدوانية" و"حرب تحرير الشعوب، والمقاومـــة، والدفـــاع الشـــرعي، والإرهـــاب. وإن المفاهيم المذكورة في المعجم لا تقف لوحدها، بل تحف بها العديد من المفاهـــيم الفرعـــية الأخرى التي فرضتها معطيات الأوضاع المعاصـــرة، كالشـــراكة، والإنســـانية والمقاومة والدفاع عن الأوطان.

ويصـــدر هـــذا المعجم في ظرف يتميز بتدهور خطير للأوضاع الدولية عامـــة والأوضاع العربية خاصة، وبظهور مفاهـــيم جديدة تتناقض ومبادئ حقوق الإنسان وتتعارض مع الشرعية الدولية، وتتجاهل مبادئ تعايش الأمـــم.

ولهـــذا أعتقد أن هـــذا المعجم سيكون ضروريا ليس فقط لمؤسساتنا القانونية منها والسياسية بل وللباحثين ولطلابنا في دراستهم القانونية، حيث سيسهل عليهم إدراك مفاهيم القانون الدولـــي الحالـــية واكتشـــاف العمل الدولي المخل بالشرعية الدولية، المفتقر للمشروعية، والعمل الذي يمثل

عدوانـــا خارجـــا عـــن القانون، ومندرجا ضمن منطق القوة وقـــانون الغـــاب، والعمل الذي يضرب عرض الحائط بالقيم والأخلاق وحقوق الإنسان والشعوب.

الكتاب الثاني

يحمـــل عنوان "حل النزاعات الدولية" صدر عام 2005 وقد تضمن 240 صفحة من الحجم المتوسط وقد أجاب المؤلف من خلاله على إشكالية رئيسية تتعلق بالتطور الحالي للقانون الدولي حول حلّ النزاعات الدولية وأشخاص هذه النزاعات، والأساليب والوسائل المتبعة لحلها ومدى توسيع وتعميق تلك الوســـائل، لتصـــبح أدوات فاعلـــة لمعالجة النزاعات الدولية الراهـــنة، التـــي تشمل حلّ نزاعات تقرير المصير والحدود والتجارة الإلكترونية والإستثمارات.

ولقد تجنب المؤلف في كتابه هـــذا الخوض في الشكليات والعموميات، وانصبت مجهوداته للإجابة على هذه الإشكالية، حيث خلص الى اعتبار موضوع حلّ النزاعات الدولية بمثابة قـــانون دولـــي بحق على اعتبار أنه يستند على مجموعة من القواعد الرائدة للحلول الدبلوماسية والسياسية والقضائية.

وللإشـــارة فإن المؤلف أعطى مكانة مرموقة الى المبدأ العرفي المعروف بمبدأ حل النزاعات بالوسائل السلمية المقرر في عدد من مواد ميثاق الأمم المتحدة، محددا مفهوم هذا المبدأ وطابعه التكاملي، متابعا أصوله في الوثائق الدولية، كما تناول موضوع التوفيق أو المصالحة كوسيلة لحل النزاعات، محددا مفهومها وشروطها وعلاقتها بالحل السلمي.

ولعـــلّ أبرز ما يجدر التنويه به يتمثل في المنهجية التي اتبعها المؤلف في تناوله لظاهرة حل النزاعات الدولية، وهي منهجية تختلف لاشك عن المنهجيات الكلاسيكية المعهودة في المؤلفـــات القانونية ومن مظاهر ذلك عندما تطرق بكل كفاءة الـــى صـــعود العولمة، التي أدت الى تعقيد حلول النزاعات الدولـــية، مـــبرزا الجوانـــب الصراعية والتعاونية في مجال

التعامل الدولي ودور القوى الكبرى في فرض جوانب هـذا الصراع على القـوى الأخـرى.

وبإختصـار فقـد ركز هذا الكتاب بدرجة أساسية، على نشـر ثقافة قانونية تدعم بالاساس أليات التسوية السلمية لأي نزاع سواء اشتركت فيه دول أو منظمات دولية، أو حدث بين دول وجماعـات مسـلحة فقـد حـدد المؤلـف الأولويـات والاسـتراتيجيات ووسائل العمل للتوصل الى حلول مرضية بيـن أطراف الصراع، محذرا من خطر فرض حلول بالقوة للـنزاعات من أجل إحكام السيطرة على الطرف الأخر، أو توسيع رصيد المكاسب التي تحققت خلال المراحل الماضية.

ومن ثم، فقد عالج الكتاب أحد المواضيع القانونية الهامة المـتعلقة بالأوضاع الدولية الحالية التي تميّزت بالصراعات الحادة واستخدام مبدأ أو حق التدخل الإنساني والعسكري في شؤون الدول المستقلة، وصعود فكرة النظام العالمي الذي يراد فرضه بالحرب والوصاية.

ويأتـــي الـــنقاش والتحلـــيل لهذا الموضوع الهام ضمن خمسة فصول على النحو التالي :

الفصل الأول : بناء مفهوم حل النزاعات الدولية

الفصل الثاني : طبيعة التسوية الدبلوماسية

الفصل الثالث : وسائل التسوية السياسية

الفصل الرابع : وسائل التسوية القضائية

الفصـــل الخـــامس : نحو رؤية لضبط وسائل النزاعات الدولية.

كتابان قيمان إذن، توخينا في هذه العجالة إبراز خصائص تفـــردهما عن سواهما من المؤلفات القانونية وكلنا اقتناع أن البواعـــث الداعية الى ظهورهما، ستشكل الدوافع التي تهيب مـــن بعـــد بالإقبال عليهما واقتناءهما والوثوق بهما من قبل الجهات المعنية بالقانون الدولي.